العرب
الإثنين 2020/12/21
السنة 43 العدد 11918

مدينة تفتقر لكل مقومات الحياة

الحنين لا يكفي لإقناع ليبيي تاورغاء بالعودة من ملاجئهم

أحياء سكنية لم تدخل مرحلة إعادة الإعمار ومعظم المقارّ الحكومية والخاصة مدمّرة كليا

ما يزال الليبيون الذين غادروا مدينة تاورغاء قسرا في حيرة من أمرهم بشأن رجوعهم إلى المدينة التي هجروها بعد أن دمرتها الحرب، هل يعودون إلى منازلهم المهدمة والشوارع الفارغة حيث لا مورد رزق هناك، أم يظلون في مخيماتهم وملاجئهم وما فيها من غربة وعناء؟

تاورغاء (ليبيا) - ما زالت آثار "العقاب الجماعي" تبدو واضحة في مدينة تاورغاء الليبية، التي اتهم سكانها في 2011، بأنهم موالون لمعمّر القذافي وطردوا منها، لكنهم يعودون تدريجيا لمحاولة طي واحدة من الصفحات الأكثر إيلاما من الصراع.

ولم يغادر الشعور بالحنين إلى مسقط رأسه عبدالغني عمر طوال سنوات تهجيره. واليوم تحقق حلمه وعاد مع أسرته إلى مدينته.

وفي صالون حلاقة متواضع هو الوحيد في تاورغاء ويقع عند مدخلها الرئيسي، يقص عبدالغني شعر طفل صغير لم يتجاوز العاشرة من العمر، على أنغام موسيقى غربية.

وقال حلاق المدينة عمر (35 عاما) "البداية كانت صعبة، لكنني محظوظ بتشجيع الأصدقاء وأهالي المنطقة، وإقناعي بحاجتهم لمن يقوم بهذا العمل".

وأضاف أن "البعض يريدون العودة، لكنهم يفكرون ماليا في مصدر دخل يؤمّن احتياجات أسرهم"، معتبرا أنهم "محقون قطعا في ذلك، ولهم مبرراتهم (...) ولو لم تتوفر لي فرص العمل، لا أعتقد أن عودتي ممكنة بالرغم من مرارة التهجير".

وتابع عمر أن "الحنين قد لا يكون كافيا لدى الكثير من السكان لإقناعهم بالعودة". وأنهى اتفاق مصالحة تاريخي بين مصراتة وتاورغاء برعاية دولية منتصف 2018، العداء بين المدينتين استمر لنحو ثماني سنوات.

وبموجب الاتفاق سمح لسكان تاورغاء المهجرين بالعودة إلى مدينتهم الواقعة 240 كلم شرق طرابلس. وتعهدت حكومة الوفاق المدعومة من الأمم المتحدة بإعادة إعمارها ودفع تعويضات للمتضررين في كلا المدينتين.

وعلى الرغم من مرور عامين ونصف العام على الاتفاق، لا يزال قسم كبير من مهجري تاورغاء يرفضون العودة إلى مدينتهم ويقيمون في مخيمات عشوائية، بعدما أجبرهم معارضو القذافي من مدينة مصراتة الواقعة على بعد أربعين كيلومترا، على مغادرتها إبّان الثورة الليبية في 2011.

ولا يزال جزء كبير من تاورغاء وخصوصا أحياءها السكنية، لم يدخل مرحلة إعادة الإعمار، ومعظم المقار الحكومية والخاصة مدمّرة كليا أو جزئيا، والدُّوب التي خلفتها الذخائر بأنواعها، تشهد على أن آلة الحرب مرت قبل لحظات وليس منذ سنوات طويلة.

وبالرغم من الاستقرار الأمني وعودة جزء من الخدمات العامة، لم يعد سوى ثلث سكان تاورغاء الذين تجاوز عددهم الخمسين ألفا إلى المدينة.

ومنذ يونيو 2018، عندما تم التوصل إلى مصالحة بين المدن المعادية، وبدأ السكان بالعودة إلى مدينتهم يشجعهم التزام السلطة التنفيذية بتعويضهم.

وقال عبدالغني عمر إن "هناك الكثير ممن يودّون العودة لكنهم يترددون"، مشددا على صعوبة تأمين دخل في مدينة منكوبة. وأضاف "حتى لو كان المنفى مريرا، فإن العودة غير ممكنة" للجميع.

وقال محمود أبوحبل (70 عاما) أحد شيوخ وحكماء تاورغاء وأول من عاد إلى مدينته عقب توقيع اتفاق المصالحة، إنه لا مبرر لسكانها بالاستمرار في البقاء خارجها.

وأوضح أبوحبل من داخل مزرعته، التي أعاد تأهيلها من آثار الحرب أنه "مؤمن بأن وجودنا على أرضنا هو الصحيح، ولا عذر أمام أهلنا بعدم العودة والمطالبة بحقوقهم".

وطالب الشيخ محمود بإغلاق كافة المخيمات في طرابلس وبنغازي، لقطع الطريق أمام الأطراف التي تحاول عرقلة اتفاق المصالحة، على حد قوله.

وأضاف "يجب إغلاق المخيمات لدفع المهجرين إلى العودة وطالما المخيمات مفتوحة ستتأخر إعادة إعمار المدينة، وسيظل الاتفاق عرضة للتشكيك من قبل مأجورين".

وفسر رئيس المجلس المحلي لتاورغاء عبدالرحمن الشكشاك هذا الوضع القائم، بأنه "طبيعي" نتيجة "غياب الحكومة والانشغال بالصراعات والانقسام". وأضاف من مكتبه في مبنى إداري صغير "نحن اليوم فوق أرض تاورغاء وهذا تحقق بعد سنوات من التهجير وتسوية الوضع مع جيراننا في مصراتة". لكنه أشار إلى "غياب الدولة والانقسام وعدم توفر الميزانيات الكافية وتأخر صرف التعويضات وإعادة الإعمار".

وتابع المسؤول المحلي "طلبنا من الحكومة توفير 1500 وحدة سكنية في مكان المحال المدمرة، لكن لم يحدث شيء إلى الآن". وأضاف "بالرغم من الصعوبات الجمّة أعيد تأهيل بعض المدارس والخدمات، لتساهم بإنعاش الحياة بعدما كانت لسنوات أشبه بمدينة الأشباح وصارت لدى الجميع فرصة سانحة لاستعادة مستقبلهم". ولا تنوي تهاني خيري، وهي من سكان تاورغاء وتقيم في طرابلس منذ ثماني سنوات، العودة إلى مدينتها الأم لأنها أنشأت حياة لائقة لأسرتها في العاصمة.

عبدالرحمن الشكشاك

طلبنا توفير 1500 وحدة سكنية، لكن لم يحدث شيء إلى الآن

وقالت هذه الأرملة التي تعيل أربعة أولاد "لدي عمل جيد في طرابلس وأولادي في المدارس والجامعات والأمور تسير معنا بخير. لجميع هذه الأسباب لا أعتقد أن خيار العودة مطروح". وأشارت إلى أن رفضها العودة لا يعني تخليها عن قضية مدينتها، لكنها لا تجد في الوقت الراهن دوافع تقنعها بالعودة بالرغم من الحنين المستمر والتفكير فيها.

وقالت تهاني إن "تاورغاء تحتاج إلى عشر سنوات أو أكثر لتعود (كما كانت) لأن الظرف الذي مرّ بها استثنائي، وفي وضع ليبيا الحالي لن تطالها يد الإعمار، بل ستظل مهملة ولن يكترث لها أحد للأسف".

وختمت قائلة "تاورغاء تمثل انعكاسا للحالة الليبية المتدهورة، واستقرار المدن المضطربة يأتي عندما تستقر ليبيا وتصبح فيها دولة واحدة قوية، وهو أمر مفقود قطعا في الوقت الراهن".

من يتأخر لا يجد نصيبا من الغذاء

جمع الحطب مهنة من لا مهنة له من شباب غزة

غزة (فلسطين) - ينطلق الثلاثيني محمد أبودقة، مع ساعات الصباح الباكر، باتجاه أرض زراعية مليئة بأشجار الزيتون، جنوبي قطاع غزة، حاملا معدات يحتاجها لقصّ أغصان تلك الأشجار لتوفير الحطب.

من بين ما يحمله أبودقة، منشار كهربائي لقص الأغصان، وفأس قديم لتحويل خشب الأشجار إلى قطع صغيرة من الحطب.

وقديما كان يعتمد الحطّاب، على آلات يدوية في قصّ الأشجار وتقطيع الحطب، ما يُكلفه وقتا كبيرا وجهدا مضاعفا، لكنّ مع الوقت أصبح يمتلك آلات حديثة تُسهّل عليه العمل.

الوضع الاقتصادي المتردّي في غزة يجبر الشباب الفلسطيني على العمل في مهن لا علاقة لها بمجالهم الدراسي

هذا الحطب، الذي يجمعه الشاب الفلسطيني، يبيعه خلال فصل الشتاء، مقابل مردود مادي بالكاد يفي بتلبية احتياجات أسرته.

وعلى الرغم من أن قطاع غزة يعاني أساسا من اختفاء مهنة "التحطيب" بعد اندثار الأحراش والغابات وبيارات الحمضيات، بسبب الزحف العمراني والحروب الإسرائيلية، إلا أن الشاب الثلاثيني أجبر على هذه المهنة، التي يصفها بالموسمية والمرتبطة بالشتاء.

وقال أبودقة، إنه لجأ إلى هذه المهنة بعدما فقد الأمل في الحصول على فرصة عمل بشهادته الجامعية، مضيفا أن جمع الحطب بات المصدر الوحيد لدخله، ولعاملين اثنين يساعدانه في العمل.

وأوضح أنه في ظل الوضع الاقتصادي المتردي بقطاع غزة، فإن الشاب الفلسطيني بات يعمل في مهن لا علاقة لها بمجاله الدراسي، أو وضعه الاجتماعي.

ويعيش في القطاع ما يزيد عن مليوني فلسطيني، يعانون من أوضاع اقتصادية ومعيشية متردية للغاية جراء الحصار الإسرائيلي المتواصل منذ 2007.

وتظهر بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، أن نسبة البطالة بغزة بلغت حتى نهاية الربع الثاني الماضي، نحو 49 في المئة بعدد عاطلين عن العمل بلغ 203.2 آلاف.

كما يعاني نصف سكان غزة من الفقر، فيما يتلقى 4 أشخاص من بين كل 5 مساعدات مالية، حسب إحصائية للمرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان (مؤسسة حقوقية مقرها جنيف)، أصدرها نهاية يناير الماضي.

وأفاد أبودقة بأن مهنة جمع الحطب تعتبر من المهن الموسمية، حيث يعدها البعض تراثية ونادرة.

وأردف "انخفاض أعداد العاملين في هذه المهنة مقارنة بما كانت عليه في السابق، يعود إلى الجهد الكبير الذي تحتاجه، مقابل المردود المادي الضعيف".

وتابع "البدائل الكهربائية التي ظهرت في العصر الحديث، والتي تقلل الحاجة لاستخدام الحطب، أدت إلى ندرة هذه المهنة".

وذكر أبودقة أنه رغم ذلك فإن فئة من سكان القطاع ما زالوا يترددون على المحال التي تبيع الحطب لشرائه، لكن بكميات أقل مقارنة بالكميات التي كانت تُباع قبل سنوات.

وفي فصل الشتاء، يلجأ فلسطينيون لاستخدام الحطب كمصدر للتدفئة داخل المنازل، وفي الأماكن المفتوحة، كما يستخدمه البعض بديلا عن الغاز، لطهي الطعام.

وفي فصل الشتاء، يلجأ سكان قطاع غزة لشراء الحطب، لاستخدامه في التدفئة المنزلية في ظل انقطاع التيار الكهربائي المستمر يوميا، فضلا عن استخدامه في المناسبات الاجتماعية لإعداد القهوة، كما يستخدمه البعض بديلا عن الغاز، لطهي الطعام.

واستطرد قائلا "في السابق كانت مساحة الأراضي الزراعية، المليئة بالأشجار التي تحتاج لتقليم سنوي واسعة، حيث كان يخرج منها المئات من السيقان والجذوع، التي تتحول بعد قصها إلى حطب".

واستدرك "لكن بفعل الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة والمستمرة عبر استهداف وتجريف للمناطق الحدودية، باتت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية قاحلة، وخالية من الأشجار".

وأوضح أن أجود أنواع الحطب هو الذي يتم استخراجه من أشجار الزيتون والحمضيات، لافتا إلى أنه يمتاز "بطول مدة اشتعاله، وصلابته، وقدرته على تشكيل الجمر".

ويصل سعر الطن الواحد من الحطب في الوقت الحالي، إلى نحو 176 دولارا أميركيا، فيما كان يزيد سعره قبل سنوات عن 300 دولار.

وأرجع أبودقة انخفاض سعره إلى عدة عوامل منها "ضعف القدرة الشرائية للمواطنين، وتردي الأوضاع الاقتصادية العامة، جراء الحصار الإسرائيلي المستمر للعام الـ14 على التوالي".

في "محطب"، يتبع لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ويقع في سوق "فراس" الشعبي بمدينة غزة، تقضي عائلة عبدالعال، التي ورثت مهنة جمع الحطب عن أجدادها جل أوقاتها في العمل هناك.

عائلة عبدالعال، بدأت هذه المهنة قبل أكثر من 30 عاما، فيما بدأ أجدادها هذه المهنة منذ ستينات القرن الماضي.

وقال عبدالعال، إن "هذه المهنة جزء من التراث الوطني الفلسطيني، وهي كذلك إرث مهم لعائلتي تعرف من خلاله بين الناس".

وأفاد بأنهم "يعكفون على قص الأشجار في فصلي الصيف والشتاء، لتجهيز الحطب، وبيعه لاحقا للمواطنين".

ويرجع عبدالعال سبب شح الأشجار إلى التوسع العمراني في الأراضي الزراعية، خلال العقود الأخيرة، لافتا إلى أن مهنة جمع الحطب وبيعه "كانت مزدهرة في قطاع غزة قبل نحو (30 عاما)، فيما كان الحطابون يتنقلون بين الأراضي الفلسطينية المحتلة لقطع الأشجار والحصول على خشب إضافي".

ويبيّن أنه يضطر في بعض الأحيان للتوجه إلى المناطق الحدودية لقطع الأشجار، فيتعرض ومن معه لإطلاق نار من قبل الجيش الإسرائيلي، المتمركز على الحدود مع قطاع غزة. وفي الختام، شدد على أنه لن يترك هذه المهنة حتى آخر يوم في حياته، وكما ورّثها لأبنائه سيحثهم على توريثها للأحفاد، "رغم مردودها المادي الضعيف".

مهنة شتوية نادرة